Journal of Humanities and Social Sciences
Volume (6), Issue (14) : 30 Dec 2022
P: 78 - 100
ISSN: 2522-3380
مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية
المجلد (6)، العدد (14) : 30 ديسمبر 2022م
ص: 78 - 100

Divinity in Henry Bergson's philosophy: A critical study

Dalal Saeed Al-harby
Umm Al-Qura University || KSA

Abstract: This study aimed to reveal the falsity of Bergsonian philosophy and its deviant beliefs about divinity, to preserve faith, protect monotheism, and purify Islamic thoughts through three main topics. The first topic reviews the definition of the most important factors that shaped Henry Bergson's philosophy; his life, his scientific upbringing, and the development of his philosophy (philosophy of life). Also, the first topic will discuss the status and influence of Bergsonism in the history of Western and Arab philosophy. The second topic presents the principles of Bergsonian philosophy on divinity, by addressing "divinity and creation" and "divinity and superstition" through two sources: morality and religion. Then, the second topic discusses the divinity and knowledge sources in Bergson's philosophy. The third topic presents Islam attitude towards Bergsonian philosophy, analysis that philosophy and criticize it, and arguing it depending on the reality of its philosophers and Islam thoughts. This study used the descriptive and analytical approaches to achieve its objectives. The findings of this study included: Any wiliness would lead to the destruction of humanity look for the Jewish fingers behind it. Bergson has failed to reach the spiritual truth; since it places the soul and body against each other, and does not realize that the differentiation of the soul and body does not necessitate their separation. The independence in existence and action cannot be issued without the participation of the body. The idea of creative evolution is contradictory, does not depend on the argument, and cannot be undermined by argument.

Keywords: Divinity, Henry Bergson, The Creative Evolution, Darwin's Theory, Atheism, The Qur'an and Sunnah.

الألوهية في فلسفة هنري برجسون: دراسة نقدية

دلال سعيد الحربي
جامعة أم القرى || المملكة العربية السعودية

المستخلص: هدفت الدراسة إلى الكشف عن زيف الفلسفة البرجسونية، ومعتقداتها المنحرفة حول الألوهية، وذلك صيانة للعقيدة، وحماية لجناب التوحيد، وتنقية للفكر الإسلامي من كل ما يشوبه، ويعكر صفو قيمه ومبادئه، وذلك من خلال ثلاث مباحث، أولها تناول أهم العوامل التي شكلت فلسفة هنري برجسون، وهي حياته ونشأته العلمية، ثم نشأة فلسفته (فلسفة الحياة)، ومكانة البرجسونية وتأثيرها في تاريخ الفلسفة الغربية والعربية، والمبحث الثاني الذي تناول عرض مبادئ هذه الفلسفة حول الألوهية، بتناولها للألوهية والخلق، والألوهية ووظيفة الخرافة عبر مصدرين هما: مصدر الأخلاق، ومصدر الدين، ثم الألوهية ومصادر المعرفة في فلسفة برجسون، ثم المبحث الثالث الذي تناول موقف الإسلام منها وتحليلها ونقدها، والرد عليها من واقع الفلاسفة والمفكرين عقلًا، ومن منظور الإسلام، نقلًا وعقلاً، وقد اعتمدت الدراسة في تحقيق أهدافها على المنهج الوصفي، والمنهج التحليلي، ومن أهم النتائج التي توصلت إليها الدراسة: إن أي مكر من شأنه أن يُفضى إلى تدمير الإنسانية، فابحث عن الأصابع اليهودية وراءه، وإن برجسون قد فشل في الوصول إلى حقيقة الروح؛ حيث أنه ثنائي يضع الروح والجسم الواحد بإزاء الآخر، ولا يفطن إلى أن تمايز الروح والجسم لا يستتبع انفصالهما، واستقلال الواحد عن الآخر في الوجود والفعل، فمحال أن تصدر من غير مشاركة الجسم، وأن فكرة التطور الخالق تنطوي على تناقض، وأيضًا لا تعتمد على الحجة، ولا يمكن أن تُقوَّض بالحجة.

الكلمات المفتاحية: الألوهية، هنري برجسون، التطور الخالق، نظرية دارون، الإلحاد، القرآن والسنة.

المقدمة:

فمن المعلوم أن الله سبحانه وتعالى قد اصطفى نبيه محمدًا واجتباه، وجعله خاتمًا للنبيين، وأرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله، وجعل دينه ناسخًا لجميع الرسالات، قال تعالى: ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الإسلام دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخاسِرِينَ﴾ [آل عمران:58]، وأمتن على عباده بإكمال الدين، وإتمام النعمة، بدين شامل لكل نواحي الحياة، صالح لكل زمان ومكان، قال تعالى في ذلك: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ [المائدة:3].

إن الدين الإسلامي هو؛ منهجٌ حياة للأمة إلى يوم الدين، فيه دليل سعادتهم في الدنيا، وفلاحهم في الآخرة، واستمساكهم بهديه عاصم لهم من مضلات الفتن؛ قال صلى الله عليه وسلم: (تركت فيكم شيئين، لن تضلوا بعدهما؛ كتاب الله، وسنتي، ولن يتفرقا حتى يردا علي الحوض) (الحاكم، 1997م، ص 284)، ومن الفتن المضلة التي أصبحت تهدر كالسيل الجارف في وجه الفكر الإسلامي، فتنة الدعوة إلى: تحري الحكمة وإثراء الثقافة، وأخذ العلم من كل مصدر ومكان؛ ومنها كتب الأديان الأخرى، والفلسفات القديمة والحديثة، والتي تظهر بمظهر الحضارة والتفتح، وهي في الحقيقة دعوات فلسفية، بمنهج خفي متدثر؛ بدثار التقنيات الحياتية، والمعرفة والثقافة الحيادية. (كردي،2004م)، ولقد انخدع كثير من المسلمين ببريق هذه الدعوات، وانطوت عليهم الحيلة، وركبوا الموجة؛ تحت شعار، الدورات الحياتية التدريبية، وطرق حل المشكلات، وأسباب الحصول على السعادة، وطرق التفكير، وتطوير الذات، وغيرها من المسميات الرنانة التي تحمل بين طياتها كل ما يبعد الناس عن الدين، ويشغلهم عن الله، ويعلق قلوبهم بغيره، ناسين أو متناسين أن التراث الإسلامي حافل بالتطبيقات الصحيحة المناسبة لكل الظروف والأحوال، فهدَّي النبي صلى الله عليه وسلم معلوم، وسنته وسنة الخلفاء الراشدين من بعده، ظاهرة جلية لمن أراد السعادة والنجاح، "فمن أراد السعادة الأبدية فليلزم عتبة العبودية" (ابن القيم، 1995م، ص 430)، من خلال تحقيق الذل والخضوع التام لله عز وجل والتعلق به سبحانه وتعالى، ونبذ الخرافة والوهم والتعلق بالفلسفات الوثنية الإلحادية الروحية، التي غزت بلاد المسلمين، وكثير منها قد لُفِظت وأُعتبرت من المخلفات عند أهلها؛ لأنها إما إغراق في الوثنية والأوهام أو إغراق في المادية، وتلقفها بعض المسلمين إعجابًا بالغرب، وانبهارًا بعلومهم وثقافاتهم، واتباعًا لسَنَنهم.

وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم في ذلك: (لتتبعن سَنن الذين من قبلكم شبرًا بشبر، وذراعًا بذراع، حتى لو دخلوا في جحر ضب لاتبعتموهم، قلنا يا رسول الله اليهود والنصارى؟ قال فمن) (النيسابوري، ص2055)، وقال ابن عباس رضي الله عنهما: (كيف تسألون أهل الكتاب عن شيء وكتابكم الذي أنزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم، أحدث تقرؤونه محضًا، لم يشب، وقد حدثكم أن أهل الكتاب بدلوا كتاب الله، وغيروه، وكتبوا بأيديهم الكتاب، وقالوا هو من عند الله، ليشتروا به ثمنًا قليلًا، ألا ينهاكم ما جاءكم من العلم، عن مسألتهم لا والله ما رأينا منهم رجلًا، يسألكم عن الذي أُنزل عليكم). (البخاري، 1993م، ص2697)، بل قد كان عمر رضي الله عنه يمنع من الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ خشية أن يشتغل الناس به عن القرآن، فكيف لو رأى اشتغال الناس بآرائهم، وزبد أفكارهم، عن القرآن والحديث (ابن قيم، 1411هـ)، ومن هذه الفلسفات التي انكشف عوارها، وانجلى زيفها، بل قد وأَدها أصحابها، ونبش قبرها بعض العرب والمسلمين؛ فلسفة هنري برجسون، والذي؛ يُعتبر أحد الأركان الأربعة الرئيسة - كارل ماركس، سيجموند فرويد، إميل دوركايم- في تشكيل الفكر الغربي الحديث، الذي غزا الفكر الإسلامي، وتسلط عليه، ويمكن الاكتفاء بفلسفة أحدهم لمن يريد نقض الثوابت الإسلامية، بل نقض الثوابت البشرية جمعاء. (إلهي بخش، 2010م).

ومن هنا يبرز دور هذه الدراسة في عرض مبادئ فلسفة هنري برجسون حول الألوهية وتحليلها ونقدها، والرد عليها من منظور الفلاسفة والمفكرين عقلًا، ومن منظور الإسلام، نقلًا وعقلاً.

موضوع الدراسة:

يتبلور موضوع الدراسة في أهمية الكشف عن زيف الفلسفة البرجسونية، ومعتقداتها المنحرفة حول الألوهية في ضوء الإسلام، فقد أوصت دراسة الحارثي (2018م) بدراستها ووصفها وتحليلها؛ فهي تُعد غزوًا فكريًا يهدد أمة الإسلام، لا سيما والكون أصبح قرية واحدة، وأضحى الفكر الغربي بغثِّه وسمينه بين يدي أبناءنا، يُفسد عقيدتهم، ويهدم أخلاقهم، ويُشكِّل فكرهم كما يخطط أعداء الإسلام؛ وقد انتشرت هذه الفلسفة الهدامة في بلاد المسلمين لسببين؛ أحدهما ترجمة مؤلفات برجسون من قبل المعجبين والمنبهرين به من المفكرين العرب، حتى أصبح برجسون كما يمجده زكريا إبراهيم؛ ليس غريبًا على المكتبة العربية، حيث تُرجمت أغلب مؤلفاته إلى العربية، وقامت في مصر أكثر من دراسة عنه، وأن آراءه لم تفقد قيمتها إلى الآن. (إبراهيم، 1964م)، ومن كتبه التي لاقت رواجًا واسعًا كتاب "التطور الخالق" والذي استطاع من خلاله أن يحدد معنى الحياة في ضوء دراسته لتطور الأجناس (إبراهيم، 1964م)، في ظل تأثر واضح بنظرية دارون الإلحادية، ثم كتابه "ينبوعا الدين والأخلاق"؛ والذي ختم به حياته ليؤكد بأنه: ليس للدين والأخلاق مصدرًا ربانيًا مطلقًا، وما هما إلا خُرافة نافعة (حبنكة، 1991م)، والسبب الآخر؛ أن فلسفته أصبحت جزءاً من مقررات الجامعات العربية والإسلامية، يقوم بتدريسها أساتذة أكفاء لكنهم لا يملكون العلم الكافي الذي يكشفون به جوانب الباطل فيها، ويحصنون به تلاميذهم (إلهي بخش، 2010م)، ومن هنا جاءت هذه الدراسة لعرض فلسفة هنري برجسون حول الألوهية، ونقدها من منظور الإسلام.

أهمية الدراسة:

اكتسبت الدراسة أهميتها من أهمية صيانة العقيدة، وحماية جناب التوحيد، وتنقية الفكر الإسلامي من كل ما يشوبه، ويعكر صفو قيمه ومبادئه، من خلال نقد الفلسفة البرجسونية وكشف زيفها، ومجانبتها للحق والصواب فيما يتعلق بجانب الألوهية، وذلك من منظور الإسلام.

منهجية الدراسة:

منهج الدراسة:

اعتمدت الدراسة في تحقيق أهدافها على المنهج الوصفي، والمنهج التحليلي.

حدود الدراسة:

تناولت الدراسة جانب الألوهية في فلسفة هنري برجسون، من خلال أهم مؤلفاته وهما كتابي "التطور الخلَّاق"، الذي يعبر فيه عن أهم مبادئ فلسفته" الوثبة الحية" وكتاب "ينبوعا الدين والأخلاق" الذي ختم به حياته، وعن هذين الكتابين يقول وليم كيلي:" يُنصح المبتدئ، بأن يقرأ في البداية ما ينظر إليه برجسون نفسه على أنه أكثر كتبه أهمية وهو "التطور الخالق" و"منبعا الأخلاق والدين".

الإطار النظري والدراسات السابقة

أولاً- الإطار النظري

كما تحدث إلهي بخش عن هنري برجسون بقوله؛ يُعتبر أحد الأركان الأربعة الرئيسة - كارل ماركس، سيجموند فرويد، إميل دوركايم- في تشكيل الفكر الغربي الحديث، الذي غزا الفكر الإسلامي، وتسلط عليه، ويمكن الاكتفاء بفلسفة أحدهم لمن يريد نقض الثوابت الإسلامية، بل نقض الثوابت البشرية جمعاء. (إلهي بخش، 2010م).

ومن هنا يبرز دور هذه الدراسة في عرض مبادئ فلسفة هنري برجسون حول الألوهية وتحليلها ونقدها، والرد عليها من منظور الفلاسفة والمفكرين عقلًا، ومن منظور الإسلام، نقلًا وعقلاً.

ثانياً- الدراسات السابقة:

دراستي إلهي بخش (2010م): هدفت هذه الدراسة إلى عرض وتحليل ونقد فلسفة برجسون في ضوء القرآن والسنة والعقل، ومن منظور العقيدة الإسلامية، ودراسة فكره دراسة علمية منهجية من كل جوانبها، من خلال كتبه ومن كتب عنه.

دراسة بدوي (2011م): هدفت هذه الدراسة إلى الحديث عن فلسفة هنري برجسون الكلية إجمالاً، فتناول الباحث أسباب نشأتها، ثم فلسفته الأخلاقية والدينية، ثم ذكر تعقيباً سجل فيه وجهة نظره فيما ذهب إليه، ثم تناول موضوع العدالة في فلسفة برجسون الأخلاقية، ثم العدالة في الإسلام، وكان هذا هدف الرسالة الأول.

دراسة أحمد(2013م): هدفت هذه الدراسة إلى إيضاح فلسفة الدين عند برجسون، والتي تعود إلى النظرية الثنائية للعالم، وذكر المبدئين اللذين أرجع الكون اليهما، وهما المادة، اما الآخر فهو ما أسماه "المبدأ الحيوي ".

دراسة كمال(2015م): هدفت هذه الدراسة إلى إيضاح مكانة الديمومة في فلسفة برجسون الروحانية، وتركيزه على الروح مقابل الجسد، والمنهل الفياض للقيم الروحانية عند برجسون، وكيفية دحض تصورات الحداثة المرتكزة على العقل الأداتي وقيم التشيؤ.

دراسة أمين(2017م): هدفت هذه الدراسة إلى الحديث عن الجانب الأخلاقي لفلسفة برجسون، وعن الوسيلة المعرفية التي يستعملها برجسون في إدراكه للأخلاق، وعن رأي برجسون في الحرية التي هي أساس المسؤولية الأخلاق.

دراسة بخدة (2019/2018م): هدفت هذه الدراسة إلى بحث موضوع الإيمان والإلحاد في الفكر الغربي، من خلال علمين من أعلام الفكر الغربي عامة، والفكر الفرنسي خاص؛ هما هنري برجسون، وجون بول سارتر.

المبحث الأول - العوامل التي أثرت في تشكيل فلسفة هنري برجسون.(معجم أعلام علماء النفس، كرم، 1979م، إبراهيم، 1964م)

ولادته:

ولد برجسون في باريس عام (1859م)، والده موسيقياً مشهوراً، وسليل أسرة (بيريك أو بيركسون) اليهودية الثرية، ومنها اشتُقَ اسم "برجسون" بعد أن اندمجت الأسرة في المجتمع الفرنسي، إذ كان من السائد تغيير الاسم ليفقد ملامحه اليهودية، والدته من أصل انكليزي يهودي، عاشت طويلاً في إيرلندا، متلقية التربية الانكليزية، وبنفس

الوقت مندمجة بالمجتمع الفرنسي، وكان للأثر الذي تركته في نفسه ثقافة أمه الإنكليزية أهمية كبيرة، إذ استطاع منذ صباه أن يتملك ناحية اللغة الإنكليزية، وذلك بفضل رعاية والدته التي كانت تشرف على تعليمه وتثقيفه.

تعليمه:

تلقى تعليمه الأول في مدرسة كوندرسيه، حيث أظهر نبوغاً في الرياضيات والعلوم الكونية، ونال جائزة شرفية في البلاغة عام (1875م)، وجائزة الرياضيات لمجلة حوليات الرياضة عام (1877م)، وبعد أن أنهى تعليمه الأساسي التحق بمعهد المعلمين العالي عام (1878م)، وقد وجه معهد المعلمين العالي برجسون نحو العلوم الأدبية، بالرغم من ميوله الفطرية إلى الرياضيات والعلوم، لامتلاكه قدرة كبيرة على التحليل وتوجيه المظاهر المختلفة، بما ينسجم مع الوجه العام الذي يسير الحياة الأوربية كلها، وكان زميلا لكل من جان جوريس (1859-1914م)، وموريس بلوندل (1860-1949م)، تلقى برجسون في هذا المعهد ثقافة فلسفية ممتازة، فتتلمذ في السنة الأولى على يدي الأستاذ أوليه لا برون الذي كان مشهوراً بنزعته الأخلاقية المسيحية، ثم تتلمذ على يدي الفيلسوف الروحي إميل بوترو، ولم يصرف برجسون اشتغاله بالفلسفة عن الاطلاع المتواصل على الآداب القديمة، وخصوصاً الأدب اليوناني.

حصل برجسون على الليسانس في الرياضيات والآداب معاً عام (1881م)، ونال شهادة معهد المعلمين (أجرجاسيون) في الفلسفة، وأهلته "هذه الشهادة إلى أن يُدلي بدلوه في القضايا الفلسفية المعاصرة، كقضية الزمان، والمكان، والاستمرار، (الدوام اللانهائي)، وحصل على درجة الدكتوراه من جامعة السوربون عام (1889م)، عنون رسالته (رسالة في المعطيات المباشرة للوعي)، وأضاف لها رسالة فرعية معنونة بـ (فكرة المكان عند أرسطو) بيَّن بها سقطات أرسطو بأدلة نفسية، أعطته تلك الرسالتان شهرة واسعة حول فرنسا، ملفتاً نظر الأوساط الجامعية، فيما عملت الصحافة الفرنسية دوراً هاماً في إبراز شخصيته.

مناصبه:

عُيِّن أستاذاً بالكوليج دي فرانس عام (1900م)، وانتُخب عضواً بأكاديمية العلوم الأخلاقية والسياسية عام (1901م)، عُيِّن بالأكاديمية الفرنسية عام (1914م) مكافأة لجهوده في خدمة العلم، ودفاعه عن بلده في الحرب العالمية الاولى، ولتلبيته دعوة حكومته للقيام بمهمات رسمية في كل من إسبانيا وأميركا، وفكَّر في الدلالة السيكولوجية والميتافيزيقية للحرب، فكانت ثمرة تأملاته بحثاً تحت عنوان (معنى الحرب) عام (1915م)، وفي عام (1919م) ترأس لجنة التعاون الفكري التابعة لجمعية الأمم، بقي رئيساً لها ومديراً لجلساتها حتى عام (1925م)، حيث أجبره المرض أن يتنازل عن هذا المنصب، وحصل على جائزة نوبل للآداب عام (1928م).

مؤلفاته:

وقد ألف برجسون العديد من المؤلفات منها؛ كتاب "المادة والذاكرة" (1896م) ورسالته بالدكتوراه- كما أسلفنا- "محاولة في الوقائع المباشرة للوجدان" (1889م) و"التطور الخالق" (1907م) وكتاب "ينبوعا الأخلاق والدين" (1932م) وتلك هي كتب أربعة رئيسية تحوي عرضًا شاملًا للمذهب يضاف إليها كتيب في "الضحك" أو "محاولة في دلالة المضحك" (1900م) وكتاب "في الديمومة والتقارن" (1922م) وضعه بمناسبة نظرية إنشتين في النسبية؛ ومقالات ومحاضرات نشر بعضها بعنوان "الطاقة الروحية" (1919م) والبعض الآخر بعنوان "الفكر والمتحرك" (1933م).

وفاته والديانة التي مات عليها:

تُوفي برجسون عن "عمر ناهز إحدى وثمانين سنة في (4) يناير (1941م)، بعد أن" نشر الفكر الإلحادي على مدى ستة عقود وحين اقترب أجله وأنهكه المرض اعتنق الكاثوليكية" (معجم أعلام علم النفس)، واختلفت الروايات في الديانة التي مات عليها برجسون، فمن قائل بموته على الإلحاد، ونكران الإله، وقائل بموته على النصرانية. (إلهي بخش، 2010م)

ثانيًا: نشأة الفلسفة البرجسونية (فلسفة الحياة):

المقصود بفلسفة الحياة وموضع فلسفة برجسون منها:

يصف بوشنسكي(1978م) هذه الفلسفة بقوله: إن فلاسفة الحياة فعليون على نحو مطلق، فلا يوجد إلا الحركة والصيرورة والحياة، ولا ينظرون إلى الوجود والمادة إلا كونهما من فضالة الحركة، وتعبر عنهم جميعاً هذه العبارة للفيلسوف الفرنسي برجسون" هناك في الصيرورة أكثر مما في الوجود، إضافة إلى أنهم يتصورون الواقع على نحو (عضوي) وعندهم أن علم الحياة (البيولوجيا) في أهمية علم الطبيعة عند أصحاب المادة العلمية (كنظرية دارون)، أي إنهم يرون العامل ليس آلة، إنما هو على العكس حياة عاملة فاعلة، والمنهج المتبع في ذلك هو الحدْس.

الديمومة وفلسفة الحياة عند برجسون:

إن فلسفة الحياة عند برجسون تعتبر: فلسفة حدْسية وشعورية، تهتم بالوعي والحدْس والديمومة الخالصة التي تعني اللامادية، فهي تُنكر ما هو مادي وحسي، ومن ثم فالديمومة الخالصة هي أصل الأشياء ومنبعها أي إنها أصل الزمان، والمكان، والماء، والتراب، والنار، والهواء، وتُبنى هذه الديمومة على الحدْس والعرفان الصوفي، والاستبطان الداخلي، بمعنى أن الحدْس ينفذ إلى بواطن الأشياء، ويستجلي كنهها شعورياً، ووجدانياً، وصوفياً، وروحانياً، فالحياة النفسية عنده؛ تقوم على التواصل والتداخل، وهي حياة تلقائية، وخلْق مستمر، وديمومة متدفقة، وكيف مغاير للكم. (حمداوي، 2019م).

النظرة إلى الإله في أوربا في القرن التاسع عشر:

أعلن أوجست كونت (1798- 1857م) عن دين جديد سماه "دين الإنسانية"، يهدف إلى الحفاظ على الكاثوليكية وعلى مثلها الأعلى، وإنه يستعيض عن فكر الإله؛ التي يعتبرها قديمة ماضية بفكرة "الكائن الأعظم"، وهو الإنسانية التي ليس الفرد شيئاً بدونها، وعلى ذلك فإن دور الأخلاق؛ هو تطوير المجتمعات باسم قاعدة وحيدة وهي العيش لأجل الآخرين، وفي نطاق البرنامج الأساسي للمجتمع الوضعي، أما "نتشه (1883-1888م)، فقد أعلن عن "موت الإله" من خلال الكنيسة المسيحية كمؤسسة دينية، معلناً عجزها عن إيجاد دور إيجابي للدين في حياة الناس، معتبراً أن انتصارها مكن للطبقات الذليلة التي قادها الكهنة، انتصاراً كاملاً على الطبقات النبيلة مع مجيء المسيحية". (بخدة، بدون تاريخ).

هذا شأن أوربا عامة حيث الإلحاد، وغلبة المادة، وكانت فرنسا- موطن برجسون- تعيش هذه الأجواء، حيث كانت باريس المتمردة والرومانسية (اللاعقلانية) (صليبيا، 1982م)، قد روجت لمصطلح "نهاية القرن" في وصف أجواء نهاية القرن التاسع عشر بوصفه "اليأس العقيم لرجل مريض"، لذلك خاض برجسون صراعاً مع الأفكار السائدة في الفلسفة؛ ليجعل من نفسه بطلاً لأسلوب أرقى في فهم العالم المحيط بنا (موقع المدى)، وبذلك برز موقفاً من أكثر

المواقف الفلسفية التباساً، الذي عبر عنه برجسون، وشكَّل به مشروعه الفلسفي في كل أبعاده، وكان ثورة على المادية والعقلانية المتطرفة. (بخدة، بدون تاريخ).

لكن في الحقيقة أن برجسون قد تأثر بعصره، وتأثر بالمادية التي طغت عليه، فقد كان مادياً وضعياً، ثم تحول للروحية، لكنه وإن ادعى محاربة المادية، والتصدي لها، فهي متغلغلة فيه، وفي فلسفته، ويظهر ذلك جلياً من خلال كتبه وأقواله التي سنوردها إن شاء الله، وهذا ما يجعل فلسفته روحية، وفي نفس الوقت تحمل أفكاراً إلحادية كفرية، لذلك سنتحدث عن كيفية تحول برجسون من المادية التي نشأ عليها، وآمن بها، إلى الروحية التي يزعم أنه متمسك بها بعيداً عن المادية، ومدى تأثره بعصره وبيئته التي نشأ فيها.

مدى تأثر برجسون بأفكار عصره:

كان برجسون يؤمن في شبابه أنه ليس هناك هدف روحي للحياة، وكتب ذات مرة إن: نظرة واحدة في المجهر تبدد الى الأبد زهو المؤمنين بحرارة الخلاص البشري، فقد بدا ماديًا على مذهب (هيربرت سبنسر)، ووقع تحت تأثيره، وكان يُديم النظر في كتاب سبنسر (المبادئ الأولى)، وكانت نظرية التطور عنده هي القول الحق الذي اطمأنت إليه نفسه، ونظراً لهذا التوجه الذي أُشتهر به كان زملاءه – فيما يقال –يعدونه ماديًا متطرفًا، أو على الأقل وضعيًا أصيلاً، لذلك يكون برجسون على طريقة مفكري عصر ما بعد الاستنارة والصورة المجازية العضوية للكون، أي شأنه شأن فردريك نيتشه، ووليم جيمس، يحاول برجسون أن يُحيي هذا العالم الميت المغلق بأن يجعله كياناً تطورياً عضوياً مُفعَماً بالحياة التي تنبعث من داخله وتحركه وهي سبب نموه. (معجم أعلام علم النفس)

ويمكن القول بأن كل فلسفة برجسون هي محاولة يائسة لإحياء عالم ميت، وتأكيد للحرية في عالم السببية المادية الصلب، ويمكن القول بأن ثمة ثنائية صلبة تجري في كل أعمال برجسون-سنبين هذا لاحقاً-تشبه الثنائية التي تسم منظومة نيتشه، مع فارق أن نيتشه يهتم بجانب واحد في الثنائية، أما برجسون، شأنه شأن وليم جيمس، فإنه يهتم بكليهما ويقنهما (معجم أعلام علم النفس)، فهو يجمع بين المتضادات.

بين "التطور الخلَّاق" و" منبعا الدين والأخلاق":

مما يؤكد تأثر برجسون بالمادية، وإن ادعى تزعمه للروحية، ما جاء في أشهر كتبه وهما: كتاب "التطور الخلَّاق" (1907م)، وكتاب" منبعا الأخلاق والدين (1932م)، وكان بينهما من الزمن ربع قرن، خمس وعشرون سنة، لكن برجسون لم يُغيِّر شيئاً من أفكاره المادية التي أعلن عنها في كتاب "التطور الخلاق"، ولم يعدل عنها، في كتابه" ينبوعا الأخلاق والدين" وهو آخر كتاب ختم به حياته، ونُشر بعد موته، بل من خلال اطلاعي المتواضع على الكتابين، وجدت في كتابه الأول نبرة مادية عالية جداً فلا مكان للإله في فلسفته، فكل ما في الأمر "وثبة حية" سرت في المادة، فخلقت وطورت والعياذ بالله، حتى أن الكنيسة في عام (1914م) حرمت قراءة الكتاب تماماً، لأنه وبحسب الكنيسة يقود للإلحاد وإنكار الله، وهذا المنع من التداول ساهم في شهرة الكتاب. (معجم أعلام علم النفس)

أما في كتابه الثاني، فهناك نبرة روحية عالية لكنها مليئة بالإعجاب بالتصوف المسيحي، وجعل الله حباً يحل في كل شيء- تعالى الله عما يقول- والتهكم بالآلهة، والمناداة بتعددها، ونسبة الخرافة إليها، وربط الخرافة بالدين والأخلاق، وربط الدين بالسحر، وإقامة الميتافيزيقيا على التجربة، وتمجيد الشرك والوثنية، والاعجاب بالبوذية، وغير ذلك من الانحراف العقدي، والفكر الإلحادي، مما يدلل على أن روحانيته أمراً دُبر بليل.

برجسون والداروينية، والهدف من فلسفته:

هكذا فإن تفكير برجسون في الحياة النفسية" الروحية"، هو الذي قاده إلى إنكار قول الماديين إنها مؤلفة من ظواهر منفصلة تتصل بموجب قوانين التداعي، وإن هذه لا تختلف عن الظواهر الطبيعية في قابليتها على القياس والحساب، وجاءت رسالته للدكتوراه (محاولة في الوقائع المباشرة للوجدان) عام (1889م) معلنة لهذا الإنكار بقوة وبراعة لفتتا إليه الأنظار، فتنفس الكثيرون الصعداء، من المثقفين الذين كانوا يرزحون تحت كابوس الآلية والجبرية، ممن كانوا يضيقون ذرعًا بالتفكير العلمي والفلسفي، الذي لا يسمح لهم بالترويج لعقائدهم الدينية وتصوراته الميتا فيزيائية، ومنذ ذلك اليوم كان هو زعيمًا من زعماء الروحية". (كرم، 1979م؛ أحمد، 2013م).

والحقيقة - كما أسلفنا- أن برجسون وإن ادعى الروحية فهو قد تشرَّب كغيره في ذلك الوقت، النظرية الداروينية، فقد كانت ولادته في نفس السنة التي ظهر فيها كتاب (أصل الأنواع) لداروين، ولقد قبِل برجسون مبدأ التطور، ولكنه رفض تفسيره على أسس ميكانيكية أو مادية، حيث يقول: إن تطور الحياة يبدو لنا مغايراً للصورة الآلية التي وصفها لنا "داروين" و"سبنسر" نحن نفهم بالتطوّر الخلقُ المُستمر، وتراكم القوى الحيوية واختراع الحياة والعقل(الحفني، بدون تاريخ)، فقد أضاف إلى هذه النظرية الإلحادية بُعداً روحياً أطلق عليه (الدافع الحيوي)، وهو أساس فلسفة برجسون، فلسفة الحياة.

ثالثًا: مكانة البرجسونية في تاريخ الفلسفة الغربية والعربية:

تأثير فلسفة برجسون على الغرب:

يصف الفيلسوف بنروبي تأثير برجسون بأنه كبير جدًا خصوصًا بين الشباب؛ ففي المدارس الثانوية، والجامعات، تُدرس كتبه بحماسة بالغة وكذلك في الأوساط الأدبية، والفنية، وتُستلهم الكثير من أفكاره، وبهذا المعنى لن يكون من المبالغة أن نتحدث عن فلسفة برجسون، فننعتها بأنها البدع المنتشر في الفلسفة". (بنروبي، 1964م)، فقد كتب وليم جيمس مرة الى أحد أصدقائه يصور له أثر كتاب برجسون "التطور المبدع" في نفسه: لقد تراءى لي كل كتاب في نظري هزيلاً من فرط روعة هذا الكتاب الجيد، أو الفجر الإلهي المنبثق، إن برجسون إنما هو فخر الإنسانية وعنوان مجدها الخالد. (موقع المدى)، ويقول عنه يوسف كرم: يُعد برجسون أكبر فيلسوف ظهر في فرنسا من عهد بعيد، لما بذله من براعة في الجمع بين هذه الآراء والتجديد في عرضها، ولعله أكبر فيلسوف على الإطلاق في هذا النصف الأول من القرن العشرين، وقد كان نفوذه واسعًا عميقًا، فقد أذاع لونًا من التفكير، وأسلوبًا من التعبير، طغا على سائر فروع المعرفة، وتجاوزها إلى الأدب. (كرم، 1979م).

إن تأثير هذه الفلسفة لم يُعمر كثيراً في الغرب، بل اكتسحتها الفلسفة الوجودية الملحدة مع سارتر، ومسحتها من الوجود، وإن كانت فلسفة برجسون أكثر إيماناً وتديناً وتصوفاً. (حمداوي، 2019م).

فلسفة برجسون الثنائية والتناقض:

على الرغم من هذا الاعجاب ببرجسون وفصاحته وبلاغته، إلا أن التناقض كان ميزة وسمة لفلسفته، وقد ظهر ذلك في أهم مبادئها، وهذا ما ذكره الفلاسفة والمفكرين الغرب والعرب، في نقدهم لأفكاره وفلسفته، فمن ذلك ما يلي:

يقول يوسف كرم(1979م) عن فلسفته بأنها: مجموعة من المتناقضات، وأن فكرة التطور الخالق (الدافع الحيوي) تنطوي على تناقض.(بنروبي، 1964م)، ويقول برتراند رسل: إن جزءًا كبيرًا من فلسفة برجسون، لا يمكن أن

يقوم بالحجة، وصورته الخيالية للعالم، معتبرة كمجهود شاعري، ليست قابلة لإقامة الدليل عليها، أو إسقاطه. (بدوي، 2011م)

تأثير فلسفة برجسون على العرب:

لقد نال برجسون اهتمام الكتَّاب العرب، فقد كتب عنه نجيب محفوظ في الثلاثينيات من القرن الماضي، ضمن مقالاته الفلسفية، وكتب عنه زكريا إبراهيم كتاباً، وترجم له محمد قاسم كتاب "التطور الخالق"، وهو من الكتب المهمة التي توضح فلسفة برجسون بشكل عام. (برجسون، 2015م)

ويذكر بسطاويسي في مقدمة "التطور الخالق" "نبذة مختصرة عن أعمال برجسون وفلسفته ليجيب عن تساؤل رئيس وهو؛ لماذا اهتم الفكر العربي المعاصر بفلسفة برجسون، ثم ختم بقوله: يمكن اعتبار فلسفة برجسون أحد المصادر المهمة للفكر العربي المعاصر في أحد تياراته التي تأثرت بفلسفته، وتقديمها يساعدنا في فهم هذه التيارات الفكرية وفهم جذورها، ولعل أبرز من تأثروا به هو نجيب محفوظ (برجسون، 2015م)، هذا يجعل برجسون وفلسفته خطرًا يهدد الفكر العربي والإسلامي، إذا تُركت فلسفته تعبث بالعقول، دون نقد وتمحيص وبيان لأوجه الفساد فيها، والرد عليها من العقل والنقل، وهذا نوع من الجهاد في سبيل الله؛ وهو الجهاد باللسان، لذلك سيكون المبحث الثالث في ذكر أفكاره وآراءه في الألوهية، من كتابيه المترجمين وهما: "التطور الخلاق، وكتاب منبعا الأخلاق والدين"، ثم تفسير المقصود منها من كتب وأبحاث المفكرين الغرب والعرب، ونقل نقدهم لها عقلياً، وهو الأساس والأغلب، في هذا المبحث، ثم المبحث الرابع موقف الإسلام من فلسفته.

المبحث الثاني- الألوهية في فلسفة هنري برجسون

أولاً: الألوهية والخلْق في فلسفة برجسون

معنى الوثبة الحية ومنبعها:

تظهر روحانية برجسون في جعل؛ (النفس أو الروح أو الحياة أو الحرية الإنسانية أو الشعور أو الوجدان) _ وكلها مسميات للروح عند برجسون _ هي الأساس في الخلق، والتطوير، والنشأة، للوجود وجميع الكائنات، فينشأ عنها ما يسمى بـ (النزوة الحية، أو الوثبة الحيوية، أو الاندفاع الحيوي، أو الحياة المتدفقة أو الوثبة الخلاَّقة، أو التطور الخلَّاق، أو التطور الخالق، أو التيار الحي، أو القدرة الحيوية، أو الجهد المبدع)، وهذه هي الإضافة الروحية التي أضافها برجسون إلى نظرية داروين المادية ليحييها، ويضيف إليها التدفق والسيلان والديمومة، وهو بذلك ينسب وظيفة الخلق والابداع إلى هذه الوثبة الحية.

ويعرف برجسون الوثبة الحية بقوله:" إنها دفعة روحية بُثت في البدء" (برجسون، 1971م، ص333)، ويقول أنها: تيار من القدرة الخالقة ينصب في المادة ليخرج منها ما يستطيع إخراجه ويتوقف في معظم النقاط، وهذه الوقفات تتجلى لنا كائنات حية" (برجسون، 1971م)، ويقول إن هذه الطاقة شعورية وفوق شعورية. (أمين، 2017م).

أما منبع الوثبة الحيوية، فيقول برجسون، وهذا الجهد هو شيء من الله إن لم يكن هو الله (برجسون، 1971م)، ويقول أيضاً: التيار الخالق للروح والمادة هل يكون الله، إنه لشبيه بالله. (كرم، 1979م)

الوثبة الحية وصراعها مع المادة والمعوقات:

يحدد برجسون خط السير الذي انطلق فيه الجهد المبدع، والقدرة الحيوية، ونتيجة التواءه، تكونت الحشرات، لكن هذا الجهد المبدع استطاع أن يظفر في خط خلق الإنسان فقط، وهو يريد بذلك أن يبين أن الوثبة الحية أمامها عقبات وهي المادة، فتارة تلتوي، وتارة تظفر، فهي في صراع معها، ولكنها لا تستطيع التغلب عليها دائماً.

يقول برجسون في ذلك: وقد سارت هذه القدرة الحيوية في أحد الخطين شوطاً بعيداً، حتى ليظن أنها ماضية إلى الأمام قدماً، ولكنها التوت، فالتوى معها كل شيء، فإذا ثمّة كائنات تدور في دائرة واحدة إلى غير نهاية، وأعضاؤها تامة الصنع، لا مجال فيها لابتكار أدوات مستمرة التجديد، وهذه هي حالة الفرد في تلك المجتمعات من الحشرات التي هي محكمة التنظيم، ولكنها تامت الآلية، **أما الجهد المبدع** فلم يمض **ظافراً إلا** في الخط الثاني من التطور الذي ينتهي إلى الإنسان (برجسون، 1971م).

وحول إعاقة المادة للوثبة الحية وأنها مرت أولاً بطريق الحيوانات الفقرية، ثم الإنسان (تهذيب لنظرية دارون) وهو بث الحياة من الداخل، يقول في ذلك: هكذا الأمر بالنسبة إلى تطور الحياة، فإن مفارق الطرق في أثناء سير التطور كانت عديدة، لكن كانت هناك طرق كثيرة موصدة، ولم يكن بين هذه الطرق نفسها سوى طريق واحد، **وهو الذي صعد خلال الحيوانات الفقرية حتى الإنسان**، وكان متسعاً اتساعاً كافياً بحيث أتاح لنفحة الحياة الكبرى **أن تمر دون ما يعوقها**. (برجسون، 2015م)، ويصف برجسون الوثبة الحية بأنها اضطرت بسبب إعاقة المادة لها إلى أن تتخلى عن كثير من عناصرها، وأنه لابد لنا من البحث عنها، ثم صهرها مع العقل حتى نفهم كيف تم النشاط الحيوي، فهو يحاول أن يجعل في النظرية غموضاً ونقصاً حتى يكون مخرجاً له كل ما استحكم عليه التناقض حيث يقول برجسون: وإذا كانت الحياة قد **اضطرت** في أثناء تطورها في اتجاه الحيوانات الفقرية عامة، وفي اتجاه الإنسان والعقل خاصة، إلى التخلي في طريقها عن كثير من العناصر التي لا تتفق مع هذا النوع الخاص من الحياة العضوية، فإن مجموعة هذه العناصر هي التي يجب البحث عنها وصهرها مع العقل حتى نستطيع الوقوف على الطبيعة الحقيقية للنشاط الحيوي. (برجسون، 2015م).

فكرة عمل الوثبة الحية:

أما فكرة عمل الوثبة فهي انتقال لكائنات عضوية جيلاً بعد جيل بفعل الديمومة واستمرار الزمان، حيث يقول برجسون في ذلك: فكرة الوثبة الاصلية للحياة التي تنتقل من جيل جراثيم التوالد، إلى جيل الذي يليه، عن طريق الكائنات العضوية النامية التي تكون نقطة الاتصال بين تلك الجراثيم، وهذه الوثبة التي تستمر في البقاء خلال طرق التطور التي تنقسم بينها، هي السبب العميق للتغيرات التي ينظم بعضها إلى بعض **والتي تخلق أنواعاً جديدة**. (برجسون، 2015م)، فكأنه يشير إلى أن الوثبة الحية، قد حلَّت في الإنسان فأصبح قادراً على أن يخلق نفسه بنفسه، فبقاءه عبر هذه السنين، ماهي إلا ديمومة زمانية متصلة مكنته من التطوير والخلق من خلالها، حيث يقول: **وإننا نخلق أنفسنا خلقاً مستمراً**، هذا إلى **أن خلق الإنسان لنفسه بنفسه يكون** كلما أجاد التفكير فيما يفعل. (برجسون، 2015م).

كيفية خلق الوثبة الحية للكائنات:

إن الفلسفة الحيوية عند برجسون تستند على نظرية في الوجود مضمونها أن هذا الوجود انبثق عن (وثبة حيوية) استمرت في التدفق على صوره تطور خلاق هو عبارة عن ديمومة (تغير مستمر) وتوتر (تغير متعدد الاتجاهات)،فهذا التطور لا يسير في اتجاه واحد بل تشتت في عدة اتجاهات حسب قوة وتركز التوتر أو ضعفه وتشتته فهذا التطور أشبه بالماء المندفع من النافورة يرتفع خطاً كثيفاً ثم يهبط على شكل مروحة، فيأخذ شكل كُمون في

النبات، وغريزة في الحيوان، وعقل في الإنسان، أما المادة فقد نشأت من ضعف الوثبة الحيوية وتوقفها أي انخفاض وانتشار التوتر، أما الروح فهي تركز وقوة في التوتر. (صبري، 2014م).

لقد حاول برجسون حل مشكلة الحياة في كتابه "التطور الخالق أو الخلاق" فوصف" بداية ظهور الحياة أنها مرت بثلاث مراحل، حتى استقرت على ما هي عليها الآن وهي؛ مرحلة النبات، حيث كانت الحياة المحركة للوجود أقرب ما تكون إلى سكون المادة، فوجدت هناك أمانها، مرحلة الحيوان الغريزي كالنحل، الذي يسير ويتحرك بالغريزة، مرحلة الحيوان الفقري، حيث اتخذت الحياة خطوة جريئة نحو الحرية. (عويضة، 1992م).

الوثبة الحية ووحدة الوجود (أو الاتحاد أو الحلول):

قوة كامنة متشابهة في الجميع؛ هي الحياة، **وهذه الحياة الحالَّة في كل شيء تخلق فيما تحل فيه ميلاً خاصاً** وتوجهاً معيناً يؤثران في كل جزئية من جزئياته، وهكذا يظل الجسم المادي يتشكل ويتغير حسب ذلك التوجيه الذي تمليه تلك الحياة الدافعة الكامنة فيه، ويسميها برجسون "الوثبة الحيوية"، التي تنبع من مصدر لا متناه يوجد داخل الكون ذاته، واستمرار هذه الوثبة الحيوية وتعبيرها المستمر عن نفسها من خلال الزمان هو العنصر الأساسي في الكون (معجم أعلام علم النفس)، وهي "الديمومة".

ويعني التطور الخلَّاق: أن التطور عملية خلَّاقة، تستمر في الزمان، سواء عن طريق خالق عالم وقادر، أو عن طريق مادة تحكمها قوانين آلية التطور يأخذ مجراه بصورة تلقائية وفق توجيه الدفعة الحية، **والدفعة الحية هي الله؛ بالمعنى الذي يؤمن به برجسون بالله، والذي يختلف عن اللاهوت التقليدي**. (وليم، 2010م).

ثانياً: الألوهية وملَكة الخرافة في فلسفة برجسون

يكرر برجسون في كتابه "منبعا الأخلاق والدين" عبارة "الوظيفة الخرافية، الملكة الخرافية، الغريزة الخرافية، الخرافة الدينية، وهذا الأسلوب أصبح مألوفاً في فلسفته، كما رأينا في مصطلح الوثبة الحية ومرادفاتها.

حيث ينظر برجسون "إلى الملَكة الخرافية على أساس أنها المسؤولة عن إبداع الدين، حيث يتساءل قائلاً "ولكن لماذا كانت ملَكة الخرافة هذه تفرض مخترعاتها بصورة خاصة **حين تعمل في ميدان الدين، الذي وجدت من أجله**، فقد وُجدت لتخلق الأرواح ولتخلق الآلة" (برجسون، 1971م)

إن الإله البرجسوني، هو أعظم ما أنتجته الخرافة، فالخرافة والوهم عنده هي من تُوجد الآلهة، وفقاً لرغبات الإنسان ومشيئته، كما يذكر ذلك في كتابه منبعا الدين والأخلاق، حيث يقول: فقد فجرت الغريزة، في حضن العقل ذاته هذا الضرب من الخيال الذي أسميناه بالوظيفة الخرافية، وما على هذه الوظيفة إلا أن تُرخي لنفسها العنان، فإذا هي تُصنع من شخصيات أولية آلهات الأساطير، وتهبط فتكون الأرواح البسيطة، أو تلك القوى التي لا تحتفظ من أصلها النفسي إلا بخاصة واحدة، هي كونها ليست آلية صرفًا، وكونها تخضع لرغباتنا، فأما الاتجاه الأول والثاني فهما اتجاه الدين، وأما الاتجاه الثالث فهو اتجاه السحر. (برجسون، 1971م).

مما سبق نلحظ تركيز برجسون على الوظيفة الخرافية في صنع كل شيء حتى الآلهة، ثم هو يسهب في الحديث عن الآلهة وتعددها، ووظائفها، وفائدتها للإنسان، وإن أمراً من أمير كان يكفي لأن يُوجِد الآلهة أو يزيلها (برجسون، 1971، ص202)، ففي حديثه عن الآلهة تناقض فتارة يمجدها ويمجد دورها ووظيفتها، وتارة يُحقر منها، ويقلل من شأنها دون أن يستثني الإله الحق سبحانه، بل هو يمجد الشرك والوثنية ويصفها بالتوحيد، إذا شاء ذلك، بل هو يذهب لأبعد من ذلك، حيث يجعل الدين والأخلاق من وضع "الملكة الوهمية عند الإنسانية، وهي ملكة تصنع الخرافة، ليستفيد منها الإنسان في حياته، فيقي بها نفسه من آثار المخاوف التي يتعرض لها (بدوي، 2011م)، من هذا المنطلق سنتحدث عن نقطتين رئيسيتين يرى برجسون أنها من وضع ملَكة الخرافة؛ وهما الأخلاق والدين.

مصدر الأخلاق في فلسفة برجسون

بما أن فلسفته ثنائية فالأخلاق أيضًا على نوعين: (صبري، 2014م)

1- **أخلاق ساكنة مغلقة:** تقوم على العادات والتقاليد يفرضها الضغط الاجتماعي بأشكاله المختلفة، فتفرضه جماعة ما بهدف المحافظة على كيانها، وتقوم على تأكيد التجانس وإلغاء الاختلاف الذي مصدره النزوع الفردي، وهذه الطريقة تتم تلقائيًا وآليًا، طالما شعر الفرد باندماجه في الجماعة، بدافع حب الظهور، وتقابل هذه الأخلاق وظيفة العقل عند الإنسان، والغريزة عند الحيوانات.

2- **أخلاق متحركة منفتحة:** تتجاوز حدود الجماعة (الأسرة، العشيرة، القبيلة) إلى محبة الإنسانية وتظهر عند أفراد يسمعون نداء (الوثبة الحيوية) فيتملكهم انفعال خالص فائق للعقل (هو الحدس ليصلوا إلى القيم الأخلاقية المطلقة)، هذه الأخلاق لا تقوم على الإلزام كما الأخلاق الساكنة المغلقة بل على انفعال محض عند البطل ومثال يقتدي به عند الجمهور.

أ- مصدر الدين في فلسفة برجسون

إن الكلام عن الأخلاق يستتبعه الكلام عن الدين، وذلك لما لهما من علاقة أخذت أشكالا عدة على مر العصور، فمنهم من يجعل الدين أساساً للأخلاق، ومنهم من يرد الدين للأخلاق بوصفها الأساس، ومنهم من دعا إلى استقلال الأخلاق عن الدين، وخصوصاً عند من أقام الأخلاق على أساس العلم، فجاء رأي برجسون ليؤكد العلاقة بين الدين والأخلاق حيث قسمه كما قسم الأخلاق من قبل إلى دين ساكن ومتحرك. (أمين، 2017م).

1- المقصود بالدين السكوني ووظيفته:

ينطلق برجسون من فكرة قوامها أنه لا يمكن أن نجد في الماضي أو الحاضر أو المستقبل مجتمعات من دون دين (الموساوي، بدون تاريخ)، إذ يقول برجسون: وقد نجد في الماضي أو في الحاضر مجتمعات بشرية لا تعرف العلم أو الفلسفة، ولكن ليس ثمة مجتمع بلا دين (برجسون، 1971م)، وذلك راجع إلى إيمان الإنسان منذ القدم بأشياء خرافية يلجأ إليها، لتفسير ما يعترضه من مشاكل دنيوية، فإذا كان الحيوان يجهل الخرافات جهلاً تاماً، فإن الإنسان على العكس من ذلك، هو الحيوان الوحيد الذي يعلق أماله الكبرى على أمور وهمية، وظواهر غيبية غير مفهومة، وقوى سحرية غير ملموسة، مما يبين أن الدين كان وثيق الصلة بالسحر والخرافات، وعلى هذا الأساس، يمكن القول إن الدين كان وليد حاجة إنسانية. (إبراهيم، بدون تاريخ).

2- علاقة الدين السكوني بملكة الخرافة:

ويصرح بوظيفة الخرافة، وعلاقتها بالدين بقوله: والواقع أن الوظيفة الخرافية التي تنتسب إلى العقل، وليست مع ذلك من العقل المحض، تحقق هذا الغرض، فقد أوجدت الدين، والذي اسميناه سكونياً وهذا الدين هو رد فعل دفاعي تقاوم به الطبيعة ما في اشتغال العقل، مما قد يشل قوى الفرد، ويحل تماسك المجتمع. (برجسون، 1971م)

ويربط برجسون كعادته بين الدين والأوهام بقوله: وإن أشكال الأوهام، أوقل أشكال الدين السكوني لا نهاية لعددها، وإن كل ما يجئ به العقل من اضطراب وخلل، وكل ما تأتي به الأديان من تهدئة، يبدو شيئاً بسيطاً، فالاختلال وخلق الخرافات يتوازنان ويتفانيان، إن إلهاً ينظر إلى الأمور من أعلى ليبدو له هذا الكل غير قابل للانقسام؛ كتفتح أزهار الربيع. (برجسون، 1971م).

3- علاقة الدين السكوني بالبوذية:

يمضي برجسون رابطاً بين الدين السكوني والبوذية وأن كلاهما تفرضه الوظيفة الخرافية، وإن كان الهنود لم يتصوروا هذه الفرضية، لكن تعليمات البوذية متفقة مع مفهوم الدين السكوني عند برجسون حيث يقول:" يجب

أن نلاحظ أن البوذية التي كانت تحمل إلى الناس الخلاص، كانت ترى أن الآلهة نفسها محتاجه أيضاً أن تُخلَّص، وكانت تنظر إلى الناس وإلى الآلهة على أنهم من نوع واحد، وعلى أنهم خاضعون جميعاً لقدر واحد. (برجسون، 1971م).

4- علاقة الدين السكوني بالحركي:

يعود برجسون إلى الوثبة الحية، وإلى التصوف المسيحي، لتدب الحياة في عروقه وهو يتحدث عن الدين الحركي، الذي هو الدين المعتبر عنده، حيث يرى أن الاطمئنان الذي بثه الدين السكوني، حين دفع فكرة الموت عن العقول، سيحل محلها حب وفرح حيث يقول:" إن النفس القادرة على هذا الجهد والجديرة به، لا تتساءل هل المبدأ الذي تشعر أنها متصلة به، هو السبب العالي لكل الأشياء، **بل يكفيها أن تحس أن كائناً أقدر منها ينفذ فيها نفوذ النار في الحديد الذي تحميه**، من غير أن تذوب شخصيتها فيه، وعند ذلك يغدو تعلقها بالحياة هو عدم انفصالها عن هذا المبدأ، إنه يغدو الفرح في الفرح، وحب ما ليس إلا حباً، **وهكذا يتغير شكل الاطمئنان الذي كان يجلبه الدين السكوني للإنسان**، فلا خوف الآن من المستقبل،(برجسون، 1971م).

5- المقصود بالدين الحركي، وعلاقته بالتصوف المسيحي:

وهو امتداد للوثبة الحيوية، وهو انفعال ذاتي صرف مستقل عن اللاهوت يظهر عند الصوفية، كالانفعال الحار الذي دب فيهم فجعلهم أبطالاً يُقتدى بهم في الأخلاق المفتوحة. فيرى برجسون أن الوثبة الحية أو التيار الروحي، تواجهه عقبات كما أسلفنا، لكن المتصوفة لا يحفلون بالعقبات، حيث يقول: "التصوف الحق يقوم في النقطة التي قد يكون التيار الروحي الساري في المادة أراد البلوغ إليها، **ولكنه لم يستطيع أن يبلغ**، وإننا لا نفهم تطور الحياة، إلا إذا رأيناها تسعى إلى شيء لا يمكن بلوغه، ويبلغه المتصوف الكبير، فلو كان كل الناس، يستطيعون أن يرقوا إلى هذه المرتبة العالية، لما كانت **الطبيعة وقد توقفت عند النوع الإنساني، وهذا** ما يُقال في **سائر صور العبقرية الأخرى فهي** جميعاً نادرة. (برجسون، 1971م).

ويؤكد برجسون أن الدين السكوني، لا مكان له بوجود الصوفية (الدين المتحرك)، بل الإنسانية تطلب من ملكة الخرافة أن تساندها في إيجادهم: إن الدين السكوني حين يظهر الصوفي العظيم، لا يبقى كله كما كان، والإنسانية لا تزال تفزع إلى هذا الدين، وتسأله السند الذي تحتاج إليه، وتدع للوظيفه الخرافية أن تعمل جاهدة أن تصلح منها (الإنسانية) ما وسعها. (برجسون، 1971م)

6- التصوف المسيحي هو التصوف الكامل عند برجسون:

لقد عرَّف برجسون التصوف بأنه: وفي رأينا أن غاية التصوف اتصال بالجهد المبدع الخالق الذي ينجلي عن الحياة، ومن ثم اتحاد جزئي به، وهذا الجهد هو شيء من الله، إن لم يكن هو الله ذاته، والصوفي الكبير هو الذي يتخطى الحدود، ويكمل بهذا فعل الله (برجسون،1971م)، ثم يمضي في الحديث عن التصوف الشرقي البوذي، معجباً به فيقول: لم نتردد في أن نعد البوذية من الصوفية، ولكنها ليست صوفية كاملة، لأن الصوفية الكاملة عمل وخلق وحب، وليس معنى هذا أن البوذية لم تعرف المحبة، فلقد دعت إليها في عبارات سامية، ولم تكتف بالموعظة بل أضافت إليها البرة والقدوة (برجسون، 1971م)، ويمضي في المقارنة بين التصوف البوذي الهندي ويبدي اعجابه به، وبين التصوف المسيحي الذي يراه هو التصوف الكامل، إلى أن يقول: وقد ظهرت المسيحية أثناء تلك الفترة، وكان لها تأثير في الهند، وكذلك الدين الإسلامي أيضاً، وإن كان سطحياً، فإن النفوس المهيأة لمثل هذا يكفيها الايحاء البسيط، والإشارة الخفيفة (برجسون، 1971م)، فهو قد أعجب بالبوذية الهندية ودرسها دراسة وافية وعرف خصائصها ومميزاتها، ثم أشار إلى الإسلام إشارة سريعة، مما يدل على علمه بهذا الدين العظيم، وفي نفس الوقت صرح بأن النفوس المهيأة لتقبل دين المسيحية يكفيها الايحاء، وفي نفس الحال لو كان قلبه مهيأ للإسلام لكفته إشارة

خفيفة لكنه الاستكبار، ثم يوضح كيفية التصوف المسيحي (الدين المتحرك): تلك هي الطريقة التي اتبعها كبار الصوفيين، وهم إنما بذلوا حيويتهم الفائضة في إنشاء الأديرة والجمعيات الدينية اضطراراً؛ لأنهم لا يستطيعون أكثر من ذلك، وكانت وثبة الحب التي تحملهم على السمو بالإنسانية إلى الله على إتمام الخلق الإلهي، لا يمكن أن تؤتي أُكلها في رأيهم بغير عون الله، الذي كانوا أدوات بين يديه، فصبوا جهودهم على القيام بعمل محدود ولو كان كبيراً وشاقاً، ثم تأتي بعد ذلك جهوداً أخرى، وقد وجدت من قبل جهود ثالثة، وتلتقي جميعها لأنها تتحد في الله. (برجسون، 1971م)، ويبالغ برجسون في مكانة الصوفية، ويسمو بها إلى الإلهية حيث يقول: والحقيقة أن ما يريده كبار المتصوفين، هو أن يبدلوا الإنسانية تبديلاً أساسياً، فيبدأون بأن يكونوا هم القدوة، انتهاءً بإنسانية إلهية. (برجسون، 1971م)

7- التصوف المسيحي والتجربة على وجود الله:

ويعتبر برجسون أن خير مثال على الحالة المثلى للتصوف هي عند كبار المتصوفين المسيحيين، فالتصوف على يد القديسين المسيحيين يوفر لنا الوسيلة لتناول مسألة **وجود الله وطبيعته على نحو تجريبي**. (أحمد، بدون تاريخ).

يقول برجسون: وإذا كانت هذه هي الصوفية فينبغي أن تقدم لنا وسيلة نواجه فيها مشكلة جود الله، وطبيعتها مواجهة تجريبية إن صح التعبير، **أن الشيء الموجود هو الشيء المدرك أو هو الشيء الذي يمكن أن يُدرك**، وهو إذاً ما تطلعنا عليه التجربة واقعية كانت أم ممكنة، لعلك تقول هل ثمة كائن يمتاز عن سائر الكائنات بأنه لا يُدرك بالتجربة، ولكنه مع ذلك موجود في كوجود تلك الكائنات، إنني أُسلم لك بذلك لحظه، مع إني أرى أن مثل هذا التقرير، وما يضاف إليه من براهين ينطوي على وهم أساسي، وإنما يبقى علينا أن نُبين أن هذا الكائن الذي عرفناه وبرهنا عليه على هذا النحو هو هو الله. (برجسون، 1971م)

ثالثاً: الألوهية ومصادر المعرفة في فلسفة برجسون

جعل برجسون الحدس معرفة منبثقة من داخل الإنسان، وليست مصدراً للمعرفة التي تهبط عليه من الإله، حيث يرى الباطنيون (كبرجسون) أن الحدس هو قبول الإلهام الذي يلقيه العقل الفعال في النفس، ويرى المتصوفة أن الحدس (الكشف) لا يتم إلا بعد رياضة روحية ومجاهدة نفس بطرق مدروسة وممنهجة، وهو ما اقتبسوه كما يبدو من الديانات الباطنية، ويؤمن الباطنيون والمتصوفة بأن البصيرة لا تكتشف المعرفة (سواء من الإله أو العقل الفعال أو الحقيقة الكونية) إلا بعد الاعتقاد بأن الجانب المادي هو عائق للروح والبصيرة، كما يعتقدون أن الحواس والعقل لا تتوصل إلا إلى حد معين من المعرفة لا يمكنها تجاوزه، وأن الحقائق لا تُكتسب إلا بالحدس والإلهام بعد القضاء على المادية،(دعدوش، 2017م).

لذلك يذكر برجسون وسيلتين للمعرفة هما: (صبري، 2014م)

العقل: وقد أوجدته الوثبة الحيوية للعمل لا للمعرفة، فهو لا يصلح سوى لمعرفة المادة لأنه إذا تدخل لأدراك هذه الديمومة (التغير المستمر) فأنه لابد أن يستوقف أجزاء منها لكي يحللها ويصل إلى قانون علني يفسرها، وبذلك يجمدها لأنه ينزع منها الحركة، فهو يعرف الكم لا الكيف، المكان لا الزمان، الحدس: وهو وسيلة معرفة الوثبة الحيوية، ويعرفه بأنه ضرب من التعاطف العقلي ينفذ إلى أعماق الديمومة فيكشف عن حيويتها الحلاقة، ثم يحصر برجسون منبع المعرفة في الحدس وحده فيقول: إن المنبع الأكبر للمعرفة هو في هذا الباب هو الاستبطان والنظر في داخل أنفسنا (برجسون، 1971م). ويفسر برجسون الحدس بأنه: عرفان شبيه بعرفان الغريزة، ينقلنا إلى باطن الشيء، ويطلعنا على ما فيه من طبيعة مفردة لا يمكن التعبير عنها بالألفاظ. (صليبا، 1982م)، ويفضل برجسون الحدس على العقل فيقول: إن الحياة، أي الشعور المتدفق خلال المادة، كانت تُثْبت انتباهها إما على حركتها، وإما

على المادة التي تجتازها، وهكذا تتجه إما في اتجاه الحدس، أو العقل، ويبدو أن الحدس، في الوهلة الأولى، أفضل من العقل بكثير، وذلك لأن الحياة والشعور يحتفظان فيه بوجودهما الداخلي. (برجسون، 2015م)

فخلاصة القول أن مصدر المعرفة عند برجسون هما العقل، والحدْس، وهو يرى أن العقل غير قادر على معرفة الوجود، من حيث هو تغيُّر وصيرورة، معرفة حقيقية مهما حاول إلى ذلك سبيلا، ويرى أيضاً أنَّ عقلنا المعجب بنفسه إعجاباً لا سبيل إلى شفائه منه يتخيَّل أنَّه يملك، بحكم ما زُوِّد به منذ ولادته، جميع العناصر الأساسية لمعرفة الحقيقة، فطرية كانت أو مكتسبة، فالثقة التي يشعر العقل بها في قدرته على معرفة كلِّ شيء، أشبه بوهمٍ أو حلمٍ لن يتحقق. (مجموعة اليسر للتدريب والاستشارات).

المبحث الثالث- موقف الإسلام من فلسفة هنري برجسون حول الألوهية

أولاً: الألوهية والخلْق في الإسلام

إن الألوهية ركن من أركان الإيمان، وإنكارها كفر، وصرفها لغير الله شرك، وما ذُكر هو شيء قليل مما كتبه برجسون في نظرته للألوهية، وهو الكفر والإلحاد بعينه، وإن المطلع على تاريخ الأمم، لا يرى إلا الإقرار بوجود الله عند أمم العالم كلها، منذ بدء الخليقة، وحتى ما قبل النهضة الأخيرة في أوربا، وضلال الأمم فيه ينحصر في الإشراك به لا في إنكار وجوده. (إلهي بخش، 2010م)، ولكن برجسون وهو الفيلسوف واسع الاطلاع على جميع الأديان والثقافات، اختار أن يكون منكرًا لوجود الله، وارتضى لنفسه الإلحاد، الذي لا ترتضيه الفطرة السليمة إلا إرغامًا، ومغالطة، فهو غير معذور في عدم دراسته للإسلام، وتصور الإله والألوهية فيه؛ لأن القرآن الذي هو كتاب المسلمين المقدس، متوفر وفي كل أرجاء العالم، ومن ذلك فرنسا، بالإضافة إلى وجود المسلمين الموحدين فيها، وإني استغرب مسلكه، إذ يستطيع دراسة تطور الإله في الكونغو الإفريقية، ولا يستطيع دراسة القرآن المتوفر بين يديه، بل في مكتبة كليته، التي يُدرس فيها، إنها لغفلة مقصودة، وأمر دُبر بليل. (إلهي بخش، 2010م).

إن برجسون بذلك _والله أعلم_ قد وقع في كفر الإباء والاستكبار وهو ككفر إبليس، وفرعون، واليهود حيث إنهم عرفوا الحق فلم ينقادوا ويستسلموا له، قال الله تعالى في حكاية حال إبليس لما أُمر بالسجود لآدم فأبى:﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلاَئِكَةِ اسْجُدُواْ لآدَمَ فَسَجَدُواْ إِلاَّ إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾ [البقرة: 34]، فهل جحد إبليس ربه، وهو يقول: ﴿قَالَ رَبِّ بِمَآ أَغْوَيْتَنِي لأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الأَرْضِ وَلأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [الحجر: 39]، ويقول:﴿قَالَ رَبِّ فَأَنظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ [الحجر:36] إيماناً منه بالبعث، وإيماناً بنفاذ قدرته، في إنظاره إياه إلى يوم البعث، أو هل جحد أحداً من أنبيائه، وأنكر شيئاً من سلطانه، وهو يحلف بعزته، وهل كان كفره إلا بترك سجدة واحدة، أمره بها، فأباها (وكفر إبليس وفرعون واليهود ونحوهم؛ لم يكن أصله من جهة عدم التصديق والعلم، فإن إبليس لم يخبره أحد بخبر، بل أمره الله بالسجود لآدم فأبى واستكبر، وكان من الكافرين، فكفره بالإباء والاستكبار وما يتبع ذلك، لا لأجل تكذيب، وكذلك فرعون وقومه جحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلماً وعلوًّا).

إن توحيد الألوهية متضمن لتوحيد الربوبية ولتوحيد الأسماء والصفات، فإن من عبد الله تعالى وحده، وآمن بأنه المستحق وحده للعبادة، دل ذلك على أنه مؤمن بربوبيته وبأسمائه وصفاته، لأنه لم يفعل ذلك إلا لأنه يعتقد بأن الله تعالى وحده هو المتفضل عليه وعلى جميع عباده بالخلق، والرزق، والتدبير، وغير ذلك من خصائص الربوبية، وأنه تعالى له الأسماء الحسنى والصفات العلا، التي تدل على أنه المستحق للعبادة وحده لا شريك له (موسوعة الدرر السنية)، فمن لوازم الألوهية المتضمنة للربوبية الخلْق؛ سواء خلق الكون والوجود أو الإنسان، وبما

أن نظرية برجسون في التطور الخلّاق كانت تعتمد على الوثبة الحيوية التي انبثق منه الكون والإنسان، فسيكون الرد عليها بذكر الأساس العقدي في خلق الكون (الوجود) والإنسان كما يلي:

أ- خلق الكون (الوجود):

أوجد الخالق سبحانه وتعالى الكون بقدرته، وقدَّره تقديرًا، قال تعالى:﴿الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيرًا﴾ [الفرقان:2]، وهو مُحدَث ومخلوق بعد عدم، فهو ليس أزليًا ولا أبديًا، ولم يوُجد نفسه بنفسه، ولم يخرج إلى الوجود صدفة، أو نتيجة تطورات طبيعية مجهولة، بل خلقه الله تعالى بعد عدم، وأنشأه إنشاء بكل أشياءه وكائناته، ولم يشارك الله سبحانه أحد في خلقه، ولا في خلق شيء معه، وقصد إيجاده على هذا النحو المعين، كما قال تعالى: ﴿ذَٰلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَاعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾ [الأنعام:102].

ب- خلق الإنسان:

أبدع الخالق جل وعز في خلق جميع مخلوقاته في هذا الكون العظيم، وميز في خلقه أحب المخلوقات إليه وهو الإنسان الذي نفخ فيه من روحه، وجعله خليفة له في أرضه، لكي يعمرها ويستخلفه فيها، بل قد جعله فوق جميع المخلوقات ومن ضمنها الملائكة، فقد جعلهم يسجدون لآدم وهو أول إنسان

﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ ﴾ [البقرة: 34]،لذلك نجد العديد من الآيات التي تصف دقة خلقه، وعظيم قدرته تعالى في ذلك، منها:

﴿ هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ ثُمَّ لِتَكُونُوا شُيُوخًا وَمِنْكُمْ مَنْ يُتَوَفَّى مِنْ قَبْلُ وَلِتَبْلُغُوا أَجَلًا مُسَمًّى وَلَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ [غافر: 67] .﴿ خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ الْأَنْعَامِ ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ يَخْلُقُكُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ خَلْقًا مِنْ بَعْدِ خَلْقٍ فِي ظُلُمَاتٍ ثَلَاثٍ ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَأَنَّى تُصْرَفُونَ ﴾ [الزمر: 6] ﴿ وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ [النحل: 78] .﴿ لَقَدْ خَلَقْنَا الإنسان فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ﴾ [التين: 4] (وَهُوَ الَّذي أَنشَأَكُم مِن نَفسٍ واحِدَةٍ فَمُستَقَرٌّ وَمُستَودَعٌ قَد فَصَّلنَا الآياتِ لِقَومٍ يَفقَهونَ) [الأنعام: 98] (وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ). [الحجر: 26].

(خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُبِينٌ). [النحل: 4].

فهذه نظرة الإسلام للإنسان، نظرة متوازنة لمكوناته؛ فلا تمجيد وتأليه للإنسان كجسد كما يفعل الماديون، ولا غلو في الإنسان كروح كما يفعل الروحانيون، ومنهم برجسون؛ الذي أضفى على الإنسان بتأثير الوثبة الحية بعض صفات الألوهية وهي التطور الخلاق، وأن اندفاعه في الحياة وبقاءه وتطوره ناتج عن حريته واختياره التي لا يحدها شيء، والصحيح أنه مخلوق من مخلوقات الله، وهو خليفة الله في الأرض، يعمرها بمنهج الله، الذي أنزله على رسله، فيعبد الله بما شرع على يد الأنبياء، فإن هو أطاع الله دخل الجنة، وإن هو عصاه وكفر به دخل النار، وهو في خلافته في الأرض، لا يملك من أمر تدبير الكون شيئًا، فالملك لله وحده، وهو خالق كل شيء، وهو الذي يدبر الكون، ويتصرف فيه وحده لا شريك له، يقول الله تعالى: ﴿يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ﴾ [السجدة:5]، ويقول تعالى: ﴿..يَقُولُونَ هَل لَّنَا مِنَ الْأَمْرِ مِن شَيْءٍ قُلْ إِنَّ الْأَمْرَ كُلَّهُ لِلَّهِ..﴾ [آل عمران: 154]، ويقول أيضًا: ﴿اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾ [الزمر:62].

وقد أجابت اللجنة الدائمة للإفتاء في المملكة العربية السعودية عن سؤال حول حكم نظرية التطور (نظرية دارون) بقولها: نظرية التطور المعروفة بنظرية (داروين) مخالفة لكتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم

ولإجماع أهل العلم والإيمان، فقد ثبت في القرآن والسنة ما يدل على خلق آدم من تراب، وخلق زوجه حواء منه.(كتاب فتاوى اللجنة الدائمة،ج1،ص10).

ج- الرد على برجسون والقول بـ (وحدة الوجود، والحلول، والاتحاد):

لقد وردت هذه المصطلحات الثلاث في فلسفة هنري برجسون، لذلك: وعلى سبيل العموم ففي إطلاق أحد هذه المصطلحات على الآخر توسع وتسامح عند بعض المتقدمين، لتقارب مفاهيمها، ووجود قاسم مشترك بينها، والله أعلم. (القاضي،2007م).

قال شيخ الإسلام: (وهؤلاء **الملاحدة** قالوا: هذا هو هذا (أي وجود المخلوق هو وجود الخالق)، ولهذا صاروا يقولون بالحلول من وجه؛ لكون الوجود في كل الذوات، وبالعكس، وبالاتحاد من وجه؛ لاتحادهما، وحقيقة قولهم هي وحدة الوجود)، وموقف الإسلام من وحدة الوجود: إن الإسلام يؤمن بأن الله جل شأنه خالق الوجود منزَّه عن الاتحاد، بمخلوقاته أو الحلول فيها، والكون شيء غير خالقه، ومن ثم فإن هذا المذهب، يخالف الإسلام في إنكار وجود الله، والخروج على حدوده، ويخالفه في تأليه المخلوقات وجعل الخالق والمخلوق شيئاً واحداً، ويخالفه في إلغاء المسؤولية الفردية، والتكاليف الشرعية، والانسياق وراء الشهوات البهيمية، ويخالفه في إنكار الجزاء المسؤولية والبعث والحساب، ويرى بعض الدعاة أن وحدة الوجود عنوان آخر للإلحاد في وجود الله وتعبير ملتوٍ للقول بوجود المادة فقط. (موقع صيد الفوائد)

ثانياً: الألوهية وحق التشريع في الإسلام: (موقع الشيخ صالح المنجد).

إن عقيدة التوحيد تتضمن انفراد الله سبحانه وتعالى بالحكم والتشريع المطلق، فلا ينازع الله في حق التشريع أحد ﴿أَلاَ لَهُ الْخَلْقُ وَالأَمْرُ تَبَارَكَ اللّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ [الأعراف:54] فالله سبحانه وتعالى لا ينازعه أحد في أمره الشرعي، كما لا ينازعه أحد في أمره الكوني، والله سبحانه وتعالى له الأمر كله ﴿قُلْ إِنَّ الْأَمْرَ كُلَّهُ لِلَّهِ﴾ [آل عمران: 154] وأمر الله منه ما يكون كونياً الذي يدبّر الله به شؤون المخلوقات، كقوله تعالى ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾[يس:82]وقوله تعالى﴿وَمَا أَمْرُنَا إِلَّا وَاحِدَةٌ كَلَمْحٍ بِالْبَصَرِ﴾ [القمر: 50] ،ومنه ما يكون شرعي، وهو الأمر الذي يفصّل الله عز وجل به الحلال والحرام، ويفصّل الشريعة، والنهي والأمر وسائر التكاليف، قال الله عز وجل: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا﴾ [السجدة: 24] أمرنا: أي التشريع الحلال والحرام، ﴿يُنَزِّلُ الْمَلَآئِكَةَ بِالْرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَن يَشَاء مِنْ عِبَادِهِ﴾ [سورة النحل: 2].

قال ابن تيمية في الفتاوى: وقد اجمعت الأمة على كفر من زعم في حق التشريع من دون الله، قال الله تعالى: ﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَاء شَرَعُوا لَهُم مِّنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَن بِهِ اللَّهُ﴾ [الشورى: 21]، فمن شرع في الدين شيئاً لم يأذن به الله فهو مشرك [الشورى: 21]، وقال أيضاً: والإنسان متى حلّل الحرام المُجْمع عليه، وحرَّم الحلال المجمع عليه، أو بدّل الشرع المجمع عليه، كان كافراً ومرتداً باتفاق الفقهاء، وفي مثل هذا نزل قوله على أحد القولين: ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللّهُ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾ " فإذاً التشريع حق لله والذي ينازع الله في التشريع يكون كافرا مشركاً.

وإن ما آثاره برجسون حول وظيفة ملَكة الخرافة في تشريع ووضع الأخلاق والدين لهو من أعظم الافتراء، والقول على الله بالباطل، ويرد عليه بدوي (2011م، ص576) بعد أن يورد ما قاله برجسون عن أن الدين والأخلاق من وضع "الملكة الوهمية" عند الإنسانية، وهي ملكة تصنع الخرافة، ليستفيد منها الإنسان في حياته، فيقي بها نفسه من آثار المخاوف التي يتعرض لها، وأرى أن ذلك مغالطة منه تعتمد على عناصر ثلاثة:

العنصر الأول: تفسير الظاهرة الدينية تفسيراً بعيداً عن الحقيقة، ولئن كانت كما يقول بعض الصور عند بعض الناس، فهي ليست كذلك في كل الصور ولا عند كل الناس.

العنصر الثاني: التعميم الفاسد، إذ عمم حكمه على كل دين، اعتماداً على ما فسر به أدياناً بدانية فاسدة باطلة، مع احتمال أن تكون الأديان الباطلة بدانية ذات أصول صحيحة، لكن دخلها التحريف والتبديل بعد ذلك، ودخلت فيها الوثنيات من صنع الانحراف الإنساني، كما هو مشاهد في بعض الأديان الكبرى، ذات الأصول الصحيحة، بشهادة الوثائق التاريخية وعلى هذا فالخرافة الإنسانية كان لها وظيفة إفساد وتحريف، لا وظيفة دفاع وحماية كما زعم "برجسون".

العنصر الثالث: تجاهل وكتمان الأسباب الحقيقية لقضايا الدين الحق، مع أن مثل "برجسون" لا يجهلها.

أما في الإسلام فالأخلاق والدين ربانية المصدر، إلهية التشريع، وسنتطرق لذلك فيما يلي:

1- مصدر الأخلاق في الإسلام (يالجن،2003م)

إن الأخلاق الإسلامية تنبع من مصدرين رئيسين، هما أعظم ما تُستمدُّ منه هذه الأخلاق؛ كتاب الله عزَّ وجلَّ، وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم الصحيحة:

فالقرآن الكريم هو المصدر الأول للأخلاق، والآيات التي تضمنَّت الدعوة إلى مكارم الأخلاق والنهي عن مساوئها كثيرة، منها قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ وَإِيتَاء ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاء وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [النحل: 90]، والمصدر الثاني السنة النبوية: والمراد من السنة ما أضيف إلى النبي صلى الله عليه وسلم من أقوال وأفعال، وتقريرات، يقول الله تعالى: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾ [الحشر: 7]، وقال تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾ [الأحزاب: 21]، وقال سبحانه: ﴿فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ﴾ [النساء: 59]، وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إنما بعثت لأتمم صالح الأخلاق) رواه أحمد، قال إبراهيم الحربي: (ينبغي للرجل إذا سمع شيئًا من آداب النبي صلى الله عليه وسلم أن يتمسك به) ولذا حرص الصحابة رضوان الله عليهم واهتموا اهتمامًا كبيرًا، وتخلقوا بالأخلاق الحسنة مستندين في ذلك إلى ما جاء في كتاب الله سبحانه وتعالى وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم، فهم قدوتنا وسلفنا الصالح في الأخلاق.

إذاً فالأخلاق في الإسلام؛ هي قيم عليا ربانية وثابتة لا يتغير حكمها من مجتمع لآخر، ولا في زمان دون زمان، بحجة أن الضغط الاجتماعي أوجبها، وفرضها، وأن الفرد عليه أن يفعلها، ولا يقاومها، (كما يزعم برجسون)، حيث يقول تعالى عن السرقة التي تنافي خلق الأمانة والعفة عن الحرام: ﴿وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جَزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالًا مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [المائدة:38]، ويقول عن الغش وتطفيف المكيال، الذي ينافي خلق الأمانة والنزاهة ومراقبة الله: ﴿وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ وَلَا تَنقُصُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ إِنِّي أَرَاكُم بِخَيْرٍ وَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ مُّحِيطٍ﴾[هود:84].

2- مصدر الدين في الإسلام: (الريس، 2017م)

أن دين الإسلام هو الدين الحق المنزل من عند الله تعالى، وهو منهج الحياة المتكامل القائم على ما جاء في كتاب الله تعالى الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد، وما ثبت من سنة نبي الهدى صلى الله عليه وسلم، وذلك خلافاً لما سواه من المناهج والأديان الأخرى، لأنه دين إلهي؛ فالإسلام دين الله عزَّ وجلَّ الذي ارتضاه للعالمين، وهذه الخصيصة أعظم خصائصه وأُسُّها؛ فما سواها من الخصائص نتيجة لها وثمرة من ثمارها.

إن الإسلام هو دين أنزله الله تعالى على نبينا محمد صلى الله عليه وسلم، وتكفل بحفظه ونصره وإظهاره على الدين كله، دين من عند الله تعالى مصدره القرآن العظيم والسنة المطهرة الصحيحة، القرآن كلام الله المنزل على رسوله محمد صلى الله عليه وسلم، وقد حفظه الله تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ [الحجر:9]،

والسنة المصدر الثاني وحي من عند الله تعالى كما قال جل وعلا عن نبيه محمد صلى الله عليه وسلم: ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى * إِنْ هُوَ إِلاَّ وَحْيٌ يُوحَى﴾ [النجم:3-4].

ثالثاً: الألوهية ومصادر المعرفة في الإسلام (موقع أون لاين، 2019م)

يتضح وجود اختلاف بين التصور الإسلامي للمعرفة والتصور الغربي بحيث يبدوان كطرفي نقيض، ويتمحور هذا التباين حول مصادر المعرفة وطبيعتها وغايتها. فمن ناحية، بينما تنحصر مصادر المعرفة الغربية في الوجود تمتد المصادر الإسلامية لتشمل الوحي، وبناء على ذلك فإن المعرفة لدى الفكر الغربي محدودة وقاصرة على الجانب المقابل للملاحظة، وإن كانت لدى التصور الإسلامي تشمل الجوانب الغيبية، ومن ناحية ثانية: نجد أن غاية المعرفة في التصور الإسلامي هي التقرب إلى الله وعبادته، والإفادة من الطبيعة بالقدر الملائم؛ لكنها في التصور الغربي تهدف إلى قهر الطبيعة والسيطرة عليها.

وفى الواقع فإن النظرة الشاملة للمعرفة في الفكر الغربي تجعل من الإنسان سيدًا للكون، وفكرة مركزية الإنسان للكون هذه تعبر بالفعل عن مأزق التمركز حول الذات الذي يعاني منه التصور الغربي، ولا يمكن الخروج منه إلا بالرجوع إلى الفكرة الصحيحة عن الإنسان؛ وهي فكرة الاستخلاف في التصور الإسلامي، فالإنسان الخليفة سيد في الكون، أما سيد الكون فهو الله، والمنظومة التوحيدية تقوم على المسافة بين الاثنين، فالله متجاوز ومفارق، والإنسان مستخلف في الدنيا ويرشده الوحي ولربه الرُجعى في الآخرة، والتي هي موضوع من موضوعات المعرفة مصدره الوحي دون غيره لتعطل أدوات المعرفة الأخر.

وتدور المعرفة في التصور الإسلامي حول محورين رئيسيين:

1- رفض النزعة الشكية و"الاعتقاد" المسيحي:

يرفض التصور الإسلامي التعميمات الغربية حول حتمية تحصيل المعرفة عن طريق المنهج التجريبي، (كما يدعي برجسون) وإلا فإن ما لم يحصل من خلال هذا المنهج فهو موضع للشك، وفي ذات الوقت يتعامل التصور الإسلامي بشكل مختلف مع مفهوم الاعتقاد في المسيحية؛ حيث يُفسر هذا المفهوم في الفكر الغربي بأنه فعل أو عزم به يعقد المرء النية على أن يقبل كشيء صادق ما يمثل عقبة للعقل، في حين يقدم التصور الإسلامي مفهوم اليقين كمرادف لمفهوم الإيمان؛ حيث القضايا الإيمانية هي صادقة في الواقع، وصدقها يحيط به العقل، أي يفهمه ويقبله يقينًا.

2- التوحيد من حيث هو مبدأ للمعرفة:

إن الإيمان بالله والإقرار بوحدانيته تعالى هو المبدأ الأول للإسلام، والوحدانية هي نقطة البحث عن الحقيقة أو المعرفة في الفكر الإسلامي؛ حيث إن وجود الله تعالى وإرادته وأفعاله هي الأسس الأولى التي يقوم عليها بناء كل الكائنات وكل المعارف وأنظمتها.

مصادر المعرفة في التصور الإسلامي:

1- الوحي: يتميز الوحي عن الوجود كمصدر من مصادر المعرفة في الفكر الإسلامي بأنه يدرك الحقيقة المطلقة أو يدرك الأشياء على حقيقتها بشكل منزه عن الخطأ، ويقدم الوحي معارف متنوعة؛ إذ يقدم- منفرداً عن كل وسائل المعرفة التي تندرج تحت مصدر الوجود- معرفة تتعلق "بالغيب"، ومعرفة تتعلق بالقوانين الطبيعية في الكون، ومعرفة تتعلق بالسنن الحاكمة للوجود الإنساني.

2- الوجود: يؤكد الخالق عز وجل على دور الحواس في اكتشاف المعرفة المحيطة بالإنسان، كذلك النظر العقلي والتأمل والتفكر في الكون ومكوناته، كما دعا الخالق عز وجل إلى عدم تقليد السابقين، لأن التقليد يُعطل العقل عن البحث وإدراك الحقيقة.

وتتميز المعرفة في التصور الإسلامي بعدد من السمات البارزة:

1- عدم الفصل بين المعرفة والعمل: إن المعرفة في الرؤية الإسلامية ليست غاية في حد ذاتها، ولكن لا بدّ أن تلحقها مرحلة أخرى تتمثل في السلوك أو العمل.

2- تكامل المعرفة: التصور الإسلامي للمعرفة متكامل لا يعرف التنافر، ولا يحتوي على القطيعة المعرفية بين أجزائه؛ فهناك تكامل بين الوجود والوحي، وتكامل بين النظر والعمل، وتكامل بين المعرفة العلمية والمعرفة الغيبية، وكل ذلك نابع من تجليات مبدأ التوحيد في وحدة الحقيقة، ولقد كان ذلك على العكس من التجربة الغربية التي حدث فيها التعارض والتنافر بين المعرفة العلمية والمعرفة الميتافيزيقية الدينية.

3- الإنسان هو خليفة الله في الأرض: من بين العناصر الهامة التي تشكل التصور الإسلامي للمعرفة تحديد مركز الإنسان من العالم باعتباره حاملاً للأمانة الإلهية مما جعله خليفة لله في أرضه، وأن مضمون الخلافة هو إعمار الكون والإصلاح فيه وعبادة الله سبحانه وتعالى، وقد زوده الله عز وجل بخصائص تؤهله لطلب العلم والمعرفة:

أ- قدرته على التعلم والتعليم.

ب- قدرته على التفكير.

ج- قدرته على الاستعداد الحضاري.

فالله عز وجل خلق الإنسان وجعل فيه قدرات واستعدادات حضارية، فالإنسان مخلوق حضاري، أي فيه قدرات للتقدم باستمرار، وكذلك الاختراع وتصنيع الأشياء. والإنسان مخلوق حضاري من نواح عدة: (يالجن، 2002م)

د- عنده قدرة على التعلم والكتابة بالقلم، قال تعالى: ﴿الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ * عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَالَمْ يَعْلَمْ﴾[العلق: 4-5].

هـ- عنده استعداد لصنع التراث ونقله، وخِلْقَتَه تُساعده، وحتى أصابع يد الإنسان مُهَيَأة لمسك القلم وتحريك الأشياء الدقيقة بدقة متناهية عكس الحيوان.

و- عنده القدرة على التطوير أي تطوير حياته ونظامه وصناعاته، وبذلك أصبح مستحقاً لجني ثمرات الطبيعة والعلوم والصناعات.

وينتهي بنهاية هذا المبحث نقد فلسفة برجسون وبيان موقف الإسلام منها حول الألوهية، وكان بيان ذلك بخطوات محددة، وهو ذكر الأدلة من القرآن والسنة وأقوال أهلم العلم حول جوانب الألوهية التي وردت في فلسفة برجسون، مستخلصين بذلك نتائجًا، وتوصياتٍ، ومقترحاتٍ، تدور حولها، وتصب في مصبها، وهو مدار الحديث في الخاتمة.

الخاتمة:

من خلال معالجة البحث عقديًا وتربويًا، فقد وصلت الباحثة إلى مجموعة من النتائج؛ ومن أبرزها:

1- ولد برجسون في عصر وبيئة (ق19م) التي انتشر فيها إنكار وجود الله، والإلحاد.

2- أن هناك عدة عوامل أثرت في نشأة الفلسفة البرجسونية.

3- إن برجسون وإن أدعى الروحية فهو قد تشرَّب كغيره في ذلك الوقت، النظرية الداروينية، في التطور والنشأة.
4- إن اليهود استغلوا المناخ الخصب، (الثورة ضد المادية) لبذر نظرياتهم الهدامة، فجاء (فرويد) بالتحليل النفسي، و (برجسون) بالروحية، و (سارتر) بالوجودية.
5- إن أي مكر من شأنه أن يُفضى إلى تدمير الإنسانية، فابحث عن الأصابع اليهودية وراءه.
6- إن برجسون قد فشل في الوصول إلى حقيقة الروح؛ حيث أنه ثنائي يضع الروح والجسم الواحد بإزاء الآخر، ولا يفطن إلى أن تمايز الروح والجسم لا يستتبع انفصالهما، واستقلال الواحد عن الآخر في الوجود والفعل، فمحال أن تصدر من غير مشاركة الجسم.
7- أن فكرة التطور الخالق تنطوي على تناقض، وأيضًا لا تعتمد على الحجة، ولا يمكن أن تُقوَّض بالحجة.
8- إن لبرجسون مكانته الفلسفية والفكرية، ومواهبه المتعددة، التي سخرها في سبيل نشر مذهبه، وهذا يشير إلى قوة تأثير فلسفته على فرنسا خاصة، والعالم عامة، ومنه العالم الإسلامي.
9- كان برجسون محاضرًا جذابًا، من الطراز الأول، ولهذا كان في محاضراته حشد هائل من الناس، حشدًا سحرته الكلمة أكثر مما جذبته الأفكار، وهذا يجعل برجسون وفلسفته خطرًا يهدد الفكر الإسلامي.
10- إن برجسون يرى الإله من صنع الخرافة أو الوهم، ويقول بوحدة الوجود، وتعدد الآلهة.
11- إن يرجسون يمجد الشرك والوثنية، ويصفها بالتوحيد.
12- أن روحانية برجسون تظهر في جعل الروح هي الأساس في الخلق، والتطوير، والنشأة، وهي ما يطلق عليها بـ (النزوة الحية).
13- يقرر برجسون أن الرذائل التي يقترفها الإنسان في المجتمع لا تخلو من فضيلة، وأن الدين ينفي الأخلاق ويوجب الجرائم.
14- يقرر برجسون بأن هناك وسيلتين للمعرفة، العقل، والحدْس، وينفي نزول الوحي.

التوصيات:

1- إنشاء مراكز علمية فكرية تُعنى بالرد على الفلسفات الغربية، من منظور الإسلام، وطباعة الكتب في ذلك.
2- عقد ندوات تثقيفية عن خطر الفلسفات الغربية على الفكر الإسلامي، وخصوصًا على عقول الناشئة.

الاقتراحات:

تقترح الباحثة على المهتمين بالدراسات الإسلامية عدة مواضيع بحثية حول نقد الفلسفة البرجسونية منها:

- دور الجامعات في صون الفكر الإسلامي من الفلسفات الهدامة؛ البرجسونية أُنموذجًا.

المراجع:

- "التعريف بالألوهية". موسوعة الدرر السنية. https://dorar.net/aqadia
- "العقل بين برغسون وديكارت". مجموعة اليسر للتدريب والاستشارات. http://albahethoun.blogspot.com
- "دعونا نتفلسف.. أنا أُجرِّب.. إذن أنا موجود (13)". موقع المدى. https://almadapaper.net/file.php?action
- "سيادة الشريعة". موقع الشيخ صالح المنجد. https://almunajjid.com/courses
- "فتاوى اللجنة الدائمة "- المجموعة الثانية المؤلف: اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء جمع وترتيب: أحمد بن عبد الرزاق الدويش: رئاسة إدارة البحوث العلمية والإفتاء - الإدارة العامة للطبع - الرياض .د.ت

- "نقاط التباين بين التصور الإسلامي والتصور الغربي للمعرفة". (2019). موقع أون لاين. https://islamonline.net/31671
- "وحدة الوجود". الندوة العالمية للشباب الإسلامي، موقع صيد الفوائد. http://www.saaid.net/feraq/mthahb
- إبراهيم، زكريا. (1964م). التطور الخالق لبرجسون. تراث الإنسانية، مج 2، ع 6.
- إبراهيم، زكريا. (بدون تاريخ). برجسون، ط2. دار المعارف.
- ابن القيم، محمد. (1995م). مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين. دار الكتاب العربي.
- ابن قيم، محمد. (1990م). إعلام الموقعين عن رب العالمين، ج4. دار الكتب العلمية.
- أحمد، قيس هادي. (2013). فلسفة الدين عند برجسون .المورد، مج40، ع3 ، 10.3 -
- أحمد، قيس. (بدون تاريخ). فلسفة الدين عند برجسون. مجلة دراسات. مركز إحياء التراث العلمي العربي، جامعة بغداد.
- إلهي بخش، خادم حسين. (2010م). هنري برجسون والمعتقدات الدينية؛ دراسة، تحليل، نقد. مجلة القسم العربي، ع 17. جامعة بنجاب.
- أمين، مروان. (2017م). فلسفة الأخلاق عند برجسون. مجلة كلية الدراسات الإنسانية، ع7. كلية التربية، جامعة الكوفة. قسم علوم القرآن والتربية الإسلامية/كلية التربية-جامعة الكوفة الصفحات 199-232،
- البخاري، محمد. (1993م). كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، باب قول النبي صلى الله عليه وسلم لا تسألوا أهل الكتاب عن شيء. صحيح البخاري، ج6. دار ابن كثير.
- بخدة، براشد. (2019/2018م). الإيمان والإلحاد في الفلسفة الفرنسية المعاصرة هنري برجسون وجون بول سارتر نموذجين. [رسالة دكتوراه]. كلية العلوم الاجتماعية، جامعة وهران.
- بخدة، براشد. (بدون تاريخ). المسألة الدينية والحل الصوفي في فلسفة برجسون.
- بدوي، محمد. (1990م). العدالة في فلسفة هنري برجسون الأخلاقية عرض ونقد. مجلة كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنين بالقاهرة، ع 29. كلية الدراسات الاسلامية والعربية للبنين بالقاهرة، جامعة الأزهر.
- برجسون، هنري. (1971م). منبعا الأخلاق والدين. ترجمة سامي الدروبي وعبد الله عبد الدائم. الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر.
- برجسون، هنري. (2015م). التطور الخالق. ترجمة محمد قاسم. الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية.
- بنروبي، (1964م). مصادر وتيارات الفلسفة المعاصرة في فرنسا. ترجمة عبدالرحمن البدوي. مكتبة الأنجلو المصرية.
- بوشنسكي. (1978م). الفلسفة المعاصرة أوربا. ترجمة عزت قرني. عالم المعرفة.
- الحارثي. عبدالرحمن. (2018م). الداروينية الاجتماعية دارسة تحليلية من منظور التربية الاسلامية. [رسالة دكتوراه]. كلية التربية، جامعة ام القرى.
- الحاكم، محمد. (1997م). المستدرك على الصحيحين، ج1. دار المعرفة.
- حبنكة، عبدالرحمن. (1991م). كواشف زيوف في المذاهب الفكرية المعاصرة، ط2. دار القلم.
- الحفني، عبد المنعم. (بدون تاريخ). موسوعة الفلسفة. دار ابن زيدون.
- حمداوي، جميل (2019م). الفلسفة الحدسية عند هنري برجسون. دار الريف للطبع والنشر الإلكتروني.
- دعدوش، أحمد. (2017م). مصادر المعرفة. موقع السبيل. https://al-sabeel.net /

- الريس، إبراهيم. (2017م). الخصائص العامة للإسلام. http://iswy.co/e190s2
- صبري، محمد. (2014). الفلسفة الحيوية (البرجسونية).
- صليبا، جميل. (1982). المعجم الفلسفي، ج1. دار الكتاب اللبناني.
- طيرشي، كمال. (2015). الفلسفة الروحانية عند هنري برغسون .مجلة تبين للدراسات الفكرية والثقافية، مج4، ع13 ، 177–
- عويضة، كامل. (1992م). هنري برجسون فيلسوف المبدأ المادي. دار لكتب العلمية.
- القاضي، تميم. (2008م). الحلول، والاتحاد، ووحدة الوجود (تعريفها، وبيان الفرق بينها). موقع العقيدة والحياة. http://www.al-aqidah.com
- كردي، فوز. (2004م). المذاهب الفلسفية الإلحادية الروحية وتطبيقاتها المعاصرة، ط. 2جامعة الملك عبد العزيز آل سعود. الرياض.
- كرم، يوسف. (1979). تاريخ الفلسفة المعاصرة، ط5. مكتبة الدراسات الفلسفية.
- معجم أعلام علم النفس، باب الباء. هنري برجسون. المركز الرقمي للعلوم النفسية. www.DCpsy.com
- الموساوي، اسماعيل. (بدون تاريخ). الدين السكوني والدين الحركي عند هنري برغسون.
- النيسابوري، مسلم. باب اتباع سنن اليهود والنصارى. صحيح مسلم، ج4. دار إحياء الكتب العربية.
- وليم، كليرايت. (2010م). تاريخ الفلسفة الحديثة. ترجمة محمود سيد أحمد. دار التنوير.
- يالجن، مقداد. (2002). التربية الإسلامية والطبيعة الإنسانية، ط2. دار عالم الكتب.
- يالجن، مقداد. (2003م). علم الأخلاق الإسلامية، ط2. دار عالم الكتب للطباعة والنشر.